نشاط العلماء في حركية الزوايا (المغيلي نموذجا)

THE ACTIVITY OF SCHOLARS IN THE IN MOBILITY OF THE RELIGIOUS SHRINES (ALMAGHILY AS AN EXAMPLE)

Dr. Mostapha BENOUAZ الدكتور: مصطفى بن واز
University of BECHAR جامعة بشار
mostaphabenouaz@gmail.com

Dr. Mohamed BERCHANE الدكتور: محمد برشان
University of BECHAR جامعة بشار
medberchane08@yahoo.fr

Accepted:	**2019/11/08**	قُبل للنشر:	***Received:***	**2018/09/10**	استلم:

ملخص:

لقد كانت الزوايا المنطلق الأساس في منطقة توات، وقد ظهر علماء كثيرون رفعوا لواءها لإحياء الإسلام في نفوس الناس، ومن هؤلاء الشيخ محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي، الذي أرسى قواعد علمية تسير عليها الزوايا خدمة للدين والوطن، خلافا لبعض شيوخ الزوايا الذين أسسوها خدمة لمصالحهم الخاصة على حساب مبادئهم وأوطانهم، لذلك أنشأ زاوية في منطقة توات لتنفيذ تصوره علميا وسياسيا، ثم اتجه جنوبا نحو السودان الغربي سعيا منه لبناء جسور علاقات بين الجزائر وعمقها الإفريقي، حفاظا على ما تحقق في توات واستشرافا لما قد يقع من انزلاقات تضر بالبلاد، مدركا حجم التحديات التي تواجهها المنطقة في ظل تواجد اليهود وضعف نفوس بعض الفقهاء والحكام.

لقد انبرى موجها وناصحا لحكام هذه المنطقة من العادات السيئة التي سادت في المجتمع من حيث قيمه الأخلاقية وعلاقاته الانسانية فكان الناس يتعاملون فيما بينهم تعاملا يهبط بهم إلى مستوى الحيوانات. لقد وجد المغيلي ضالته من خلال ساسة السودان الغربي حيث عملوا بنصائحه وتحققت أهدافه التي كان يسعى إليها.

الكلمات المفتاحية: الزوايا؛ توات؛ المغيلي؛ السودان الغربي؛ اليهود.

Abstract

The religion (shines) were the basic premises in the Touat region, Many scholars there raised the banner of these schools to revive Islam in the hearts of people and among them was cheikh Mohamed ibn abdelkarim ibn Mohamed Almaghily who founded scientific rules for these schools at follow in the service of religion and the nation unlike some other religious leaders who founded these schools in the service of their own interests at the expanse of their principles and their nations. For that reason, he built a religious school in the Touat region to inplement his vision scientifically and politically then he headed south towards westen Sudan in an effort to construct communication bridges and relations between Algeria and its African roots to preserve what was achieved in Touat and to look ahead to what might happen as the nation could slide into turmoil which would endanger the region, He realized the magnitude of the challenges faced by the region in the presence of the Jews and the weakness of the souls of some jurists and rulers.

He took upon himself the responsibility to guide and a advise the rulers of this region against the bad habits which prevailed in the somostaphaciety in terms of his moral values and human relationship; people were treating each other in a way that brought them down to the level of beasts. Almaghily found what he yearned for through the politicians of that region as they put into practice his advice and so his dream came true in achieving what his yearned for.

Keywords: *Shrines; touat; Almaghily; western Sudan; the jews.*

corresponding author: ***mostaphabenouaz@gmail.com***

مقدمة:

إن المؤسسات الدينية باختلاف أنواعها تعكس واقع الشعوب والمجتمعات الساعية دوما للارتباط بعقيدتها ودينها، وكان المسجد أول مؤسسة في المجتمع الإسلامي في دولة المدينة، إذ لم يكن القصد من إنشائه تأدية الشعائر فحسب، بل مناقشة مختلف القضايا الدينية والدنيوية التي تهم المجتمع في مختلف مناحي الحياة.

لم يكن المسجد مجرد مؤسسة تعبدية بل تعداه لأكثر من ذلك، لكن مع مرور الزمن وتوسع الأمصار واختلاط الشعوب والأعراق وتراجع وتيرة الإيمان، كان لابد من إيجاد مؤسسات مكملة له خدمة لديمومة المجتمع في ارتباطه بدينه وثقافته، فكانت الزوايا مظهرا من مظاهر تمسك المجتمع بأصوله، هذا المجتمع الذي اعترته تحديات داخلية وخارجية جعلته في شبه قابلية لكل ما يهز من كيانه.

ففي المغرب الإسلامي وفي ظل تراجع المنظومة القيمية، انبرى أساطين العلماء وجهابذة الإصلاح للعمل على الحفاظ على المجتمع في بوتقته الأصيلة حتى لا ينكسر، فوجدوا في الزوايا ضالتهم، حيث سعوا لإنشائها بغية أهداف واضحة، وفي ظل تصورات تخدم ثقافة المجتمع بعيدا عن الارتجال والعاطفة الزائدة، وطبعا ليست الزوايا كلها على هذا النسق ولا العلماء كذلك ولا حتى المناطق التي وجدت فيها.

إن إقليم توات[1] يعد من أكثر المناطق التي انتشرت بها هذه المؤسسات حيث كانت مناطق استقطاب لعدد من العلماء توفرت فيهم شروط معينة صقلت شخصيتهم، فكانوا في مقدمة من أرسوا بناء هذه الزوايا والتي مازالت ماثلة للعيان إلى اليوم، ومن هؤلاء العلماء محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي، وإذ نتحدث عن الزوايا، فقلما نتحدث عمن وضع أسس بنائها وأرسى قواعدها العلمية بنظرة استشرافية.

---

(1) (...وسكنوا (تسابيت) من توات، فخاف أهل القافلة من ذلك، ثم وصلنا إلى بودا ، بضم الباء الموحدة، وهي من أكبر قرى توات...). **ينظر**: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة محمد (4/ 279).

إن الموضوع يطرح إشكالية من أرادوا قيادة هذه الزوايا وعرفوا المراد من إنشائها في ظل تهافت البعض على تأسيس زوايا دون معرفة ولا إدراك للأهداف المتوخاه، فالقضية ترتبط بطبيعة الأشخاص أكثر من المؤسسات في حد ذاتها.

فما هي العوامل التي جعلت هذا العالِم في مقدمة من اهتموا بهذه الزوايا بتصورات واضحة وأهداف جلية؟ وما هي الأهداف التي كان يتوخاها من وراء إنشائها في إطار تحديات كبرى؟ وكيف استطاع استشراف ديمومتها، خاصة وأن إقليم توات منطقة توغل مهمة نحو عمق إفريقيا؟.

ولتوضيح الصورة فقد عرجنا على النقاط التالية:

- الزوايا في منطقة توات.
- شخصية المغيلي الفريدة.
- دور المغيلي في توات وموقفه من اليهود.
- دور المغيلي الريادي في السودان الغربي.

المبحث الأول: الزوايا في منطقة توات:

لقد تعددت الزوايا في المجتمع التواتي نظرا لهمة من حبسوا أموالهم لبنائها،﴿اللهم يا رب وحد صفوفنا وكلمتنا وشملنا، بك نستعين وعليك نتوكل، اللهم يا رب لا تسلط علينا من لا يرحمنا ولا يخافك، لا تدخل في زاويتنا ريح ولا شكوك، وأن تقبل منا هذا العمل خالصا لوجهك الكريم، وأن تجعلنا ومن أعاننا على ازدهار الزاوية التواتية[1] و هم بذلك يطبقون قول الله تعالى: ﴿**إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[البقرة:21].

---

(1) الحركة الأدبية في أقاليم توات، جعفري. مبارك (101).

وهكذا يبدو أن وقف المال في بناء الزوايا كانت معروفة لدى المجتمع التواتي الذي تعود على البذل والعطاء في سبيل الاستمرار في الحفاظ على أصالته ودينه، ولذلك تعددت وظائف الزوايا فمنها:

- زوايا العلم ومن أمثلتها الزاوية الكنتينية أسسها الشيخ أحمد بن محمد الرقاد الكنتي، سنة (999 هـ / 1590 م) وزاوية سيدي عمر بن صالح باوقرت مؤسسها الشيخ سيدي عمر بن محمد بن الصالح من أعلام القرن العاشر الهجري، توفي سنة (1008 هـ / 1599 م) وزاوية تنيلان: أسسها الشيخ أحمد بن يوسف الونقاني، سنة (1058 هـ / 1648 م)[1]

- زوايا الإطعام: يقول الشيخ مولاي أحمد الطاهري واصفا الإقليم وزواياه:﴿ومن عادتهم إكرام الضيف، والمسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد معه، لأن في كل قصر من قصورها عادات، فإذا كان القصر فيه زاوية لها أحباس على إطعام الطعام للأضياف فإن المسافر يقصد دار الزاوية فيجد فيها كل ما يحتاج إليه هو ومن معه، فيجد حتى علف الدواب..وما أكثر هذه الزوايا في ذلك القطر العزيز المبارك﴾.[2] ومن أمثلة زوايا الإطعام:

زاوية سيدي عبد الله بن طمطم، بمنطقة اوقروت، التي ذكرها العياشي في رحلته(...وقد أثنى أصحابنا عنه كثيرا، وأنه من أهل الخير والدين، يطعم الواردين عليه، في بلاد كاد الطعام أن يكون فيها دواء...) [3]

فالملاحظ أن الزوايا لم تأخذ وظيفة التعليم فقط بل تعددت وظائفها بين التعليم والتربية والإطعام والإيواء مما يعطي الانطباع على أن منشئي ومؤسسي هذه المؤسسات كانوا يدركون الدور المنوط بهم لتحريكها نحو ما يخدم المجتمع ومايلبي تطلعاته المادية والروحية، ولذلك وضعوا تصورات

---

(1) الدور التعليمي للزوايا والطرق الصوفية في إقليم توات بالجنوب الغربي للجزائر خلال القرن 12 هـ / 18 م » جعفري مبارك، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، 2011، العدد 15، غرداية، ص 403.

(2) الحركة الأدبية في أقاليم توات، جعفري مبارك، المرجع السابق، (81).

(3) أوقروت من القرى الواقعة بتوات. **ينظر**: الرحلة العياشية 1661 1663، العياشي محمد (1 / 80).

وسياسات(إستراتيجية)، لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال من نذروا أنفسهم لتحقيق الأهداف التي رسموها لنجاح هذه المؤسسات، من خلال الطرق الصوفية التي ساعدت على حركية هذه الزوايا مثل الطريقة القادرية التي كان للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الفضل في وجودها، حيث انتشرت ليس في توات فقط، وإنما في عموم أفريقيا، وكثير هي الزوايا التابعة لها، منها زاوية كنته، الزاوية البكرية، وزاوية الركب النبوي بأقبلي...(1)، ولقد حققت بعض هذه الزوايا من خلال رجالها نتائج مبهرة في نشر الإسلام وتنقيته من الشبهات وإبطالها عنه، بل أصبحت وسيلة سيطرة سياسية وهو ما يتضح اليوم خاصة في غرب إفريقيا.

لقد ظهرت هذه الزوايا تباعا في منطقة توات أكثر من غيرها، ولعل ذلك يرتبط بعاملين، موقع توات من جهة ووجود العلماء من جهة أخرى كمورد بشري هام في إثراء الحركية العلمية للمنطقة، إضافة إلى الفترة التي تميزت بإرهاصات كانت مقدمة لتغيرات كبرى في المنطقة، أقصد تدهور بلاد المغرب وسقوط الأندلس مما عرض البلاد للغزو الاسباني وما تلاه من دخول العثمانيين، مما شجع الكثير على الهجرة نحو المنطقة، وبالتالي فقد توفرت لتوات عوامل دون سواها حتى أخذت الريادة في انتشار الزوايا، ومن هذه العوامل:

- قدوم العلماء إلى المنطقة من أمثال مولاي سليمان بن علي الإدريسي: ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن بن علي كرم الله وجه، ولد بفاس سنة (549 هـ / 1154 م)، وفيها تلقى مختلف العلوم قدم إلى توات سنة (580 هـ / 1184 م)، وأسس زاويته بتوات الوسطى بأولاد أوشن سنة 595 هـ / 1199 م،توفي سنة (670 هـ / 1271 م)(2).

---

(1) « الدور التعليمي للزوايا والطرق الصوفية في إقليم توات بالجنوب الغربي للجزائر خلال القرن 12 هـ / 18 م » جعفري مبارك، المرجع السابق، ص 405.

(2) « الدور التعليمي للزوايا والطرق الصوفية في إقليم توات بالجنوب الغربي للجزائر خلال القرن 12 هـ / 18 م » جعفري مبارك، نفس المرجع، ص 400.

- المجتمع التواتي الذي يتميز بتعدد أعراقه وأجناسه وميله لدعة (...إن توات بالنسبة لغيرها، لا تكره ظالما، ولا تمنع غانما،... ولقلة ضعف أهلها وهضم قوة النفوس بها، كثر فيها الصالحون والزهاد، وأرباب القلوب...)[1]

- النشاط التجاري: لقد أثر ازدهار النشاط التجاري في توات إلى حركية كبيرة بين من يبتغون التجارة تصديرا واستيرادا وبين السكان، خاصة وأن المنطقة تعتبر همزة وصل أساسية في مجال التجارة بين الشمال والجنوب، تلمسان والمغرب الأقصى باتجاه السودان الغربي، مما أثر على الزوايا والحياة العامة فيها، ومن الذين اشتهروا الشيخ سيدي على بن حنيني (ت 1115 هـ / 1703م) صاحب الزاوية الشهيرة بزاقلو، كانت له تسعمائة جمل تتاجر في بلاد السودان، وكل ريعها ينفق على الزاوية والشيخ أبو الأنوار بن عبد الكريم التنيلاني، (ت 1168 هـ / 1755م)، الذي كان يشتغل بالتجارة بين توات والسودان الغربي، وبعد عودته لتوات استقر به المقام في أولف الشرفاء، حيث اشترى بساتين ومياه وبنى زاوية.[2]

□

(1) « الدور التعليمي للزوايا والطرق الصوفية في إقليم توات بالجنوب الغربي للجزائر خلال القرن 12 هـ / 18 م » جعفري مبارك، المرجع السابق، ص 401.

(2) « الدور التعليمي للزوايا والطرق الصوفية في إقليم توات بالجنوب الغربي للجزائر خلال القرن 12 هـ / 18 م » جعفري مبارك، نفس المرجع، ص 402.

المبحث الثاني: شخصية المغيلي الفريدة:

لقد توفرت في الرجل عدة صفات يشهد لها أهل العلم أهلته لتبوء الصدارة في سبيل التغيير نحو الإيجاب، فقد وصفه أحمد بابا في الابتهاج (بخاتمة المحققين الإمام العلامة الفهامة القدوة الصالح السني، أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين)[1]

نعته الشيخ السنوسي قائلا: (الأخ الحبيب القائم بما أندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي القيام بها سيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية، وعمارة القلب بالإيمان).[2]

قال عنه الشيخ عثمان ابن فديو في كتابه(فتح أفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور): (كان فقيها حافظا، أصوليا، ومحدثا فرضيا، محققا كبيرا، نقادا مؤلفا قدوة، نبيها مجتهدا، عارفا بالقرآن، مضطلعا في الأدب، صوفي المسالك، متخلقا بأخلاق الصالحين، وكان أية الله في تحقيق العلوم، بالاطلاع المفرط، والباع الطويل، غي علم المعقول، والمنقول والسهر على تحصيل القبول)[3]

قال عنه ابن مريم: (خاتمة المحققين، الإمام العالم العلامة، المحقق الفهامة، القدوة الصالح السني، أحد أذكياء العالم، وإفراد العلماء، الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم والنسبة في الدين، المشهور بمحبة رسول الله صلى الله علية وسلم، وبغض أعدائه...) وكان رحمه الله مقداما على الأمور، جسورا، جرئ القلب، فصيح اللسان محبا في السنة جدليا نظارا محققا.[4]

---

(1) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، التنبكتي أحمد بابا (576).

(2) نفسه.

(3) « المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء » حاج أحمد نور الدين، ماجستير، سعادة مولود، أصول الدينكلية العلوم الاجتماعية والإسلامية جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010 2011، ص 33.

(4) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم محمد بن محمد بن أحمد (253).

قال عنه صاحب دوحة الناشر: (الشيخ الفقيه، الصدر الأوحد، أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، كان من أكابر العلماء، وأفضل الأتقياء، كان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[1]

وبالمقابل فقد عاصر الإمام المغيلي ثلة من العلماء اعتبرت فترتهم من أزهى الفترات، وكانوا قامة من قامات عصرهم ومنهم محمد بن مرزوق الحفيد:(ت 842 هـ / 1438 م) كان فقيها وأصوليا ومفسرا، كما كان له باع في علم الحديث النحو واللغة والبيان والعروض، أحمد بن زاغو (ت 845 هـ / 1441 م) اهتم بالتفسير والحديث والأصول والفرائض والمنطق والتصوف، الإمام حافظ السيوطي: وقد كانت بينهما مناظرة حول استعمال علم المنطق.[2]

أحمد الونشريسي: (914 هـ / 1508 م) أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، كان رحمه الله من كبار العلماء حامل لواء المذهب المالكي في بلاد المغرب والأندلس اشتهر بكتابه: (المعيار المعرب في ذكر فتاوى إفريقيا والمغرب)[3]

هذه الشهادات في حق هذا الرجل تعطي الانطباع على إخلاصه وتفانيه في حب دينه ووطنه، وهو ما يتجلى من خلال الأعمال التي قام بها في توات وفي السودان الغربي.

□

(1) دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ابن عساكر (130 132).
(2) حاج أحمد. المرجع السابق، ص ص 28 29.
(3) ابن عساكر. المرجع السابق، ص 47.

المبحث الثالث: دور المغيلي في توات وموقفه من اليهود:

ومنذ أن وطئت قدما المغيلي إقليم توات، كان له دور تربوي وإصلاحي ذو أبعاد متعددة، ومما زاد في زخم البناء نشره للطريقة القادرية السنية، التي عن طريقها كثر عدد المريدين مما قوى صفه ووضع أهدافه نصب عينيه لتحقيق ما كان يبغي سلفا، وفي خضم ذلك واجهته صعاب كثيرة، ولعل أخطرها يهود توات الذين كانوا قد تحكموا في تجارتها مما انعكس سلبا في حركية السكان وعلاقتهم بجيرانهم.

لقد سعى المغيلي للتحكم في الوضع، ومن أجل ذلك أسس زاويته بقصر بوعلي سنة (850 هـ / 1480 م)، حيث أضحت منطلقا تعليميا للطلبة وعسكريا من أجل ضرب قواعد اليهود بتوات.[1]

والسؤال الذي يفرض نفسه، لماذا كان المغيلي متشددا ـ كما يبدو ـ مع اليهود أو كما يدعي البعض؟، ولا بأس أن نعرج على وجود اليهود في توات وعلى بعض أعمالهم لنفهم موقف المغيلي منهم.

إن علاقة اليهود بمنطقة توات ترتبط أساسا بسقوط الأندلس إذ أن الكثير منهم وجراء اضطهاد المسحيين لهم اضطروا للهجرة لهذه المنطقة طلبا للأمن، ولأنهم أصحاب حرف وصناع للحلي تحركوا من هذا المنطلق واستطاعوا بمرور الزمن تكوين ثروة مالية كبرى، فزاد نفوذهم على ذوي السلطان هذا المعطى أثار تخوفات المسلمين الذين أعلنوا رفضهم للنفوذ اليهودي المتزايد.[2]

وقد بعث سلطان بورنو سنت (ت 844 هـ / 1440 م) إلى علماء توات يشتكي لهم فيها من حال بلاده، التي لم يعد يقصدها الكثير من التجارة، كما كانوا يفعلون سابقا، أي الفترة التي ازدهرت فيها التجارة بين السودان الغربي وشمال إفريقيا، بسبب سيطرة الجالية اليهودية على مرافق التجارة في

---

(1) حاج أحمد. المرجع السابق، ص ص 47 49.

(2) الدور الفكري لعبد الكريم المغيلي في إقليم توات والسودان الغربي، بوشقيف عائشة، رسالة ماجستير، مبخوت بودواية، قسم التاريخ وعلم الآثار كلية الإداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2010 2011، ص 88.

توات، هذا ما دفع بالتوارق الذين تقع بلادهم بين توات وبورنو إلى قطع الطريق أمام القوافل التجارية التي تمر على أراضيهم، مما أثر كثيرا على التبادل التجاري بين إقليم توات وبلاد السودان الغربي.[1]

إن تجاوز اليهود للحدود الشرعية واستعلائهم على المسلمين وتمردهم على الأحكام، والتحكم في أصحاب الشوكة والسلطان، وتساهل المسلمين معهم، جعلهم يستوطنون خاصة بالمراكز التجارية التي تمر منها أو تنتهي إليها قوافل الذهب الرابطة بين شمال إفريقيا والسودان[2]، وكذلك ثراء وغنى الجالية اليهودية بالمنطقة، حيث استغلوا هاته الثروة للسيطرة والنفوذ الاقتصادي، مما سهل عليهم الحياة بالمنطقة. وكان لموقف بعض الرؤساء في تمنطيط أثره في تشجيع اليهود على بناء بيعة كبيرة لهم تجاوزت تلك الحدود التي قد يمكن للمسلمين أن يسمح لهم بها.[3]

وبالتالي فإن موقف المغيلي كان منطقيا – كما يبدو – والواقع الحالي يشهد على ذلك من خلال شهادة الأستاذ العراقي البروفيسور كاظم العبودي:

(لي الشرف أن أقول،أن ما أعتز به من البحوث هو الكشف عن قضيتين هامتين:

أولهما:أن المشروع النووي الفرنسي ما كان ليتم وينجز لولا المساهمة الإسرائيلية التي هي وراء 70 بالمائة من نجاحها،وذلك بتوفير إنتاج الماء الثقيل وتخصيب اليورانيوم، واستخلاصه من الفوسفات،ومن ثم إعادة استخلاص «البلوماتونيوم» من مفاعل «ديمونا» الذي أسهم مع بقية البلوتونيوم في بقية التفجيرات. ونقول بالأدلة أنه منذ عام 1965، تواجد الخبراء الإسرائيليون في «حماڤير» في قاعدة إطلاق الصواريخ وطوروا منظومات الإطلاق والتحكم والسيطرة للصواريخ الإسرائيلية و الفرنسية (مشروعا أريحا وإيريام) وقد حضر كل من مولثوديان،وزير الدفاع الإسرائيلي

(1) نفسه.

(2) حاج أحمد. المرجع السابق، ص 45.

(3) «التلمساني محمد بن عبد الكريم بعض آثاره وأعماله في الجنوب الغربي الجزائري والسودان»، زبادية عبد القادر، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر، ص 211.

وشمعون بيريز إلى قاعدة رڤان قبل وبعد وخلال التفجيرات، وقد أشرت إلى ذلك في دراساتي التي تناولتها في مؤلف «يرابيع رقان»).[1]

فهذه الشهادة من أستاذ متخصص يظهر التحالف الفرنسي اليهودي في تدمير الجزائريين أرضا وإنسان ونباتا وحيوانا، وهو شيء منطقي إذا كان اليهود وراءه.

ثو يواصل حديثه فيقول:

(وثانيهما: من الذي اختار إقليم «توات» ومنطقة «رقان» ساحة للتفجيرات ؟ فهم بلا شك الخبراء اليهود الذين أرادوا الانتقام بشكل ما حق من كل المنطقة ترابا و بشرا وبيئة استنكارا منهم للحقد على الإمام «بن عبد الكريم المغيلي » الذي كان له الفضل الأول في الجهاد وإخراجهم كلية من المنطقة بدء من تيميمون حتى تمبوكتو،وبانتقامهم من «توات» والجزائر فإنهم أعادوا ذات الانتقام من العراق بتدمير بابل بالمواد المشعة في الحرب والغزو الصهيوني الأخير وبذلك يؤكد اليهود حقدهم بدوافع تاريخية وانتقامية ضد الجزائريين والعراقيين مع بعض. والجدير بالذكر أن هناك أكثر من 50 دراسة بجامعة إسرائيل عن الإمام المغيلي ولازالت إسرائيل ترصد وتسجل كل ما يكتب عن «توات» والجزائر و مصير البيئة النووي)[2]

إن المغيلي أدرك حقيقة اليهود بعلمه وبصيرته، وذلك مصداقا لقول الله تعالي: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[المائدة:88].

(1) حقائق جديدة للتفجيرات النووية بالصحراء الجزائرية عدة محمد، ليلى زرقيط، جرائم فرنسا، 2013، https://liby10.wordpress.com/2013/02/17/البروفيسورالعبودييكشفعنحقائقجديد/

(2) حقائق جديدة للتفجيرات النووية بالصحراء الجزائرية عدة محمد، ليلى زرقيط، جرائم فرنسا، 2013، https://liby10.wordpress.com/2013/02/17/البروفيسورالعبودييكشفعنحقائقجديد/

لقد لعبت هذه الزاوية دورا بارزا قي تقويض جهود اليهود وكبح جماح تسلطهم على المنطقة، كما عملت الزاوية على نشر الفكر الإسلامي النقي على الطريقة القادرية السنية ليس في توات فحسب بل تعدته إلى السودان الغربي بأكمله قصد التمكين للزاوية داخليا والحفاظ على أمنها من أي اختراقات خارجية.[1]

المبحث الرابع: دور المغيلي الريادي في السودان الغربي:

إن المغيلي كان ذا نظرة بعيدة، لم يتوقف عند توات بل ربط علاقات مع ملوك وأعيان السودان الغربي إذ انتقل إلى هناك وبقي مدة طويلة داعيا وموجها وناصحا حتى يتسنى للمنطقة أن تبقى في ارتباط وثيق روحيا أمام زحف الأفكار الهدامة التي كانت تبغي بقاء المسلمين في تبعية فكرية، وهو ما ألهم به الشيخ المغيلي الذي استطاع استشراف المكان والزمان، فالمكان لتحصين توات وما جاورها من السودان من الأخطار المحدقة، والزمان توقع ما قد يقع من مصائب يكون المجتمع قد تهيأ لها. - ويبدو لي – هذا ما نراه اليوم.

لقد ارتبط الشيخ المغيلي ارتباطا عضويا وروحيا بالسودان الغربي نظرا للجهود المضنية التي بذلها، في سبيل تحريره من السيطرة والأوهام التي وجده عليها من عادات سيئة إذ ساد الغزو دون وازع ديني في السودان الغربي، فكانت القبائل الكبرى تهاجم الصغرى في محاولة منها للسيطرة والغنيمة، وفي الجانب الاجتماعي ضمن العلاقات الاجتماعية سادت الفوضى الأخلاقية حين كان أحد ملوك سنغاي يجمع بين المرأة وأمها، كما قتل الكثير من المسلمين مستترا بمجموعة من الفقهاء أباحوا له الحرام، والأشد من ذلك الخلل في العقيدة، فرغم تأديتهم للشعائر كانوا يعبدون الأصنام.[2] ومن العادات السيئة ببلاد السودان الغربي اختلاط الرجال بالنساء، فنجد المرأة مع الرجل في كل مكان،

---

(1) حاج أحمد. المرجع السابق، ص ص 47 49.
(2) بوشقيف عائشة، المرجع السابق، ص ص 112 113.

وهذا يشير إليه المغيلي بقوله:(ومن مناكرهم اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والطرقات)[1]، فكل هذا وأكثر في مختلف مناحي الحياة حيث سادت الفوضى إلى غاية مجيء المغيلي.

لقد ارتفعت ثقة أهل السودان في شخصه، حيث أضحى مستشارا لحاكم كانو، وتولى القضاء والإفتاء[2]، وأصبح الآمر الناهي في المنطقة، ومن المواقف التي تؤيد ذلك، أنه ثار على هذه الأوضاع مبتغيا تغييرها جذريا، جاءت بعد ثورته على اليهود في توات، إذ سافر إلى بلاد السودان الغربي ليعمل على تصحيح العقيدة الإسلامية التي أخذ الفساد يدب فيها، وعند دخوله إلى الإقليم، أدرك أن فهم الناس لأحكام الشريعة الإسلامية خاطئ، فتوطدت العلاقة بينه وبين ملك كانو، الذي جعله مستشاره الخاص ووزيره الذي يرجع إليه في كل الأمور التي تواجهها مملكته، وطلب من المغيلي أن يكتب له وصية في شؤون الدولة فأثنى عليه الناس ولقبوه بالإمام، وتعرضت رسالته لأمور عديدة وشؤون الحكم.[3]

إن علاقات المغيلي تتضح من خلال رحلته في إفريقيا والتي دامت عشرين سنة انتقل خلالها في كامل ربوع الغرب الإفريقي مثل أهر، تكدة، كشنا، كانو، إذ تمكن من بناء مسجد بأقادس، كما التقى وحاور عدد من الأمراء والملوك في مختلف القضايا خصوصا مع الأمير الحاج محمد أسكيا حاكم مملكة سنغاي.[4]

هذا الأخير الذي كان شغوفا بمعرفة قضايا دينه ولذلك سأل المغيلي في عدة قضايا يريد أن يعرف حكم الشرعي فيها، فجاءت إجابة المغيلي مفصلة في مجموعة أجوبة المغيلي للأسكيا بما ينفع المسلمين في هذه المنطقة كما أن نظريته في الخلافة وفيمن يصح له حكم المسلمين بدت واضحة فكان

---

(1) بوشقيف عائشة، المرجع السابق، ص 114.
(2) حاج أحمد. المرجع السابق، ص 52.
(3) بوشقيف عائشة، المرجع السابق، ص 117.
(4) من تاريخ توات، جعفري مبارك، الطبعة الأولى 2011، منشورات الحضارة الجزائر(22 23).

يرى أن متطلبات الخلافة تتمثل في الوعي الكامل اتجاه مجتمع المسلمين ورعاياه المباشرين، كما كان للمغيلي رأي في العلماء الحقيقيين والمزيفين.[1]

إن هذه الثقة بين الطرفين ما كانت لتتحقق لولا الإرادة الفولاذية التي كانت تميز الرجل من جهة، و الفطرة الحسنة التي كانت تميز أهل السودان و ساسته من جهة أخرى، و هو ما أفضى الى تحقيق نتائج انعكست ايجابا على المنطقة على جميع الأصعدة.

إن المغيلي أدرك مسبقا ضرورة الحفاظ على البلاد لأن أمنها يعتبر حجر الزاوية في رقيها، وهو ما تجلى من خلال تأسيس زاوية تقوم على العلم والجهاد واستشراف المستقبل حتى لا تكون هناك مباغتات سلبية في أية لحظة.

□

---

(1) زبادية. المرجع السابق، ص 214.

الخاتمة:

إن الزوايا تعددت بتعدد الوظائف التي أنشئت من أجلها للإطعام والعلم والجهاد تبعا للأهداف المتوخاة.

إن الشيخ المغيلي في تأسيسه لزاويته كان جريئا وطموحا بغية وضع آلية واضحة المعالم للحفاظ على كينونة المجتمع.

رغم توغل اليهود في المنطقة وتغولهم بالمال والسلطان إلا أنه لم يأل جهدا في سبيل تحجيمهم، لأن التوغل تعدى الحدود الشرعية فأضحوا بلاء تحمل في سبيل القضاء عليه العنت الكبير خاصة من العلماء الذين خالفوه في كيفية التعامل معهم.

حاول الشيخ المغيلي الابتعاد عن الدروشة وما يخذر العقل، لأنه كان يدرك أن التغيير من سنن الكون، وأن الغاية من الإسلام تحريك العقل بما يتماشى ومصالح المجتمع.

إن المغيلي كان سباقا في إرساء دعائم زاويته من خلال التكوين العلمي الواضح ومناهج التدريس ومستوى التلاميذ الذين تربوا على يديه، وحتى والفكر الإصلاحي والجهادي الذي كان يؤمن به.

إن قيمة المغيلي العلمية والدينية أهلته لمواجهة الواقع المرير في منطقة السودان الغربي الذي كان يعاني تفككا أخلاقيا واختلالا سياسيا انعكس سلبا على الواقع المعيش في المنطق.

استطاع المغيلي أن يربط بساسة السودان الغربي علاقات قوية أهلته لتبوء مكانة مرموقة جعلته من علياء القوم الذين يسمع لكلامهم.

إن العلاقة التي أقامها الشيخ المغيلي مع السودان الغربي من خلال الاتصال بحكامه وعلمائه إنما كان القصد منها الحفاظ على منطقة توات، لأنه كان يدرك أن تغلغل الفكر الصحيح في المنطقة يعتبر حصنا حصينا أمام الأفكار الهدامة التي حاولت زعزعت المجتمع وتشكيكه في قيمه والتي مازالت إلى يومنا هذا دون كلل أو ملل، ولذلك كانت الزاوية حصنا حصينا لمريديها.

إن النجاح الذي تحقق على يدي المغيلي مازالت آثاره واضحة المعالم تشير إلى حنكة وتبصر رجل عالم قدم كل ما يستطيع خدمة لوطنه ودينه، وما أفواج المريدين اليوم في إفريقية إلا ثمرة من ثمار جهوده المضنية لتحقيق الأهداف المنشودة، ولعل هذه المعطيات تفتح آفاقا للباحثين في توضيح أهمية الزوايا في التأثير السياسي إضافة إلى البحث في اهتمام إسرائيل الدائم بشخصية الرجل الفذ محمد بن عبد الكريم المغلي.

ملحق 01:

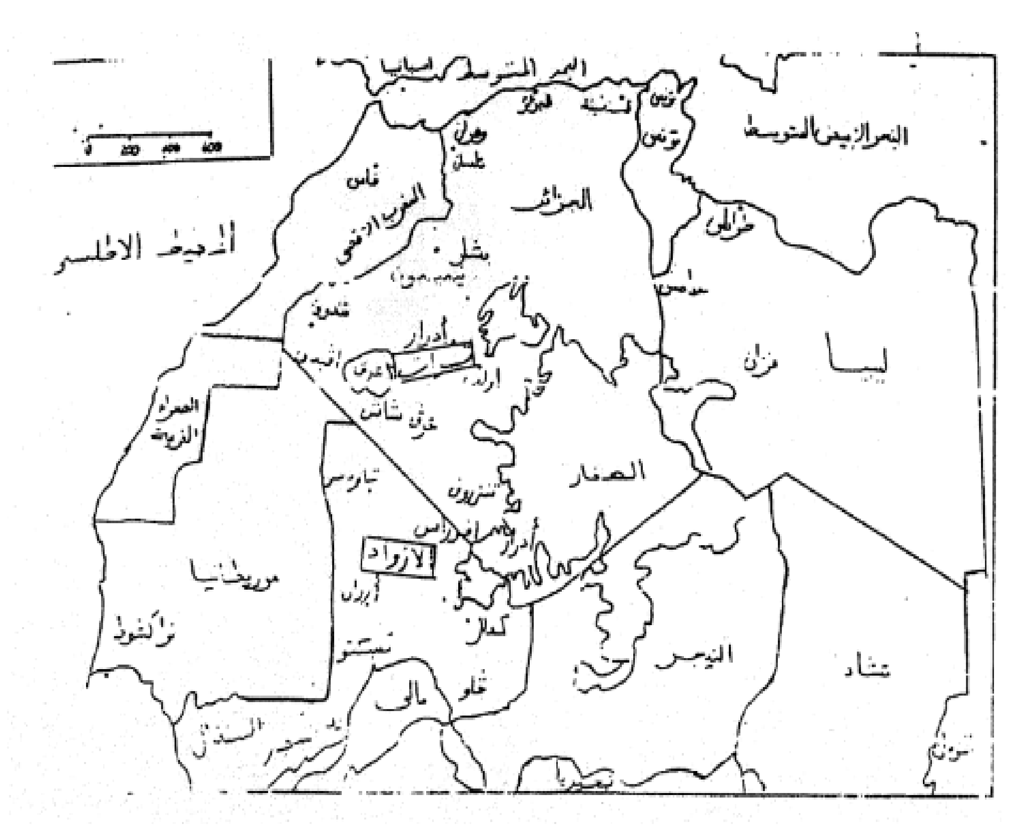


ممالك السودان الغربي في القرن الثامن الهجري (14 م)

المرجع: « المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء » حاج أحمد نور الدين، ماجستير، سعادة مولود، أصول الدينكلية العلوم الاجتماعية والإسلامية جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010-2011،، ص 211.

ISSN: 1112-5357 **مجلة الحضارة الإسلامية**
E-ISSN: 2602-5736 **المجلد:** 20 **العدد:** الثاني **ديسمبر** 2019

ملحق 02:



خريطة إقليم توات وموقعه من بلاد المغرب وإفريقيا.

المرجع: «الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10 هجرية»، سالمي. زينب، رسالة ماجستير، بودواية مبخوت، قسم التاريخ وعلم الآثار كلية الإداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2011- 2012، ص 100.

□

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. ابن عساكر. محمد، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، الطبعة الثانية، 1977 م، مطبوعات دار الغرب الرباط.
2. ابن مريم. محمد بن محمد بن أحمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، (د.ط)، 1908م، المطبعة الثعالبية الجزائر.
3. بوشقيف عائشة، الدور الفكري لعبد الكريم المغيلي في إقليم توات والسودان الغربي رسالة ماجستير، مبخوت بودواية، قسم التاريخ وعلم الآثار كلية الإداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2010- 2011.
4. التلمساني محمد بن عبد الكريم بعض آثاره وأعماله في الجنوب الغربي الجزائري والسودان»، زبادية عبد القادر، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر،
5. التنبكتي. أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، الطبعة الثانية، 2000 م، دار الكاتب ليبيا.
6. الحركة الأدبية في أقاليم توات، جعفري مبارك، الطبعة الأولى (د،ت)، منشورات الحضارة، الجزائر.
7. الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10 هجرية»، سالمي. زينب، رسالة ماجستير، بودواية مبخوت، قسم التاريخ وعلم الآثار كلية الإداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2011- 2012.
8. الدور التعليمي للزوايا والطرق الصوفية في إقليم توات بالجنوب الغربي للجزائر خلال القرن 12 هـ / 18 م » جعفري مبارك، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، 2011، العدد 15، غرداية.
9. رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار ابن بطوطة محمد،(د.ط)، 1417 هـ، أكاديمية المملكة المغربية الرباط.
10. العياشي. محمد بن عبد الله، الرحلة العياشية 1661- 1663، تحقيق: سعيد فاضلي وسليمان القرشي، الطبعة الأولى،2006، دار السويدي أبو ظبي.
11. من تاريخ توات، جعفري مبارك، الطبعة الأولى 2011، منشورات الحضارة الجزائر.

12. المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء » حاج أحمد نور الدين، ماجستير، سعادة مولود، أصول الدينكلية العلوم الاجتماعية والإسلامية جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010-2011

13. حقائق جديدة للتفجيرات النووية بالصحراء الجزائرية عدة محمد، ليلى زرقيط، جرائم فرنسا، 2013، https://liby10.wordpress.com/2013/02/17/البروفيسور-العبودي-يكشف-عن-حقائق-جديد/)